شريعة الوفاء بالعهد

لفضيلة الخطيب الشيخ سليمان الونجاري

قال الله تعالى : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

لو نظرنا نظر الناقد البصير في العوامل التي تساعد أو ساعدت على تكوين المجتمع وقبول النظم الاجتماعية ، لرأينا منها جلياً واضحاً ـ الوفاء بالعهد ـ الذي يقطعه الانسان على نفسه لقاء امر فكر به وتدبره ، وما الدين إلا نظام اجتماعي يسير بالناس الى شاطىء السلامة فالسعادة في الدارين ، ولعل السذج من الناس الذين تعودوا ان ينظروا الى الحياة نظرة ساذجة دون تروٍ وتدبر ، ودون تفكر وتمحيص إلا ماينتزعه من مخيلته المحدودة ، يرون ان الدين ضيق الحدود عقيم الانتاج الذي يفضي الى التقدم ، ولعلي اوفق بان افهم هذه الزمرة التي عزّت علينا فاضطرتنا الى نصحها وارشادها ان الدين اوسع نظام يقبل الحياة مع كل جيل ، ويماشي الزمن بكل اسلوب مشفوع بالمنطق .

فالعهد ، كلمة ذكرها علماء اللغة فاطنبوا ، وحللها علماء الاخلاق فابدعوا في وصفها ، وتناولها الشعراء فنسجوا حولها الخواطر العالية ، وان الله تبارك وتعالى ذكرها في عدة مناسبات في كتابه المجيد فقال (اوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) وقوله تعالى : (اوفو بعهدي اوفي بعهدكم) وامثال ذلك في مواطن قد تزيد على السبع ، وهذه عناية واضحة بالحث على الوفاء بالعهد والاحتفاظ به ، والشعراء ذكروه بصور مختلفة قبل الاسلام وبعده ، واليك ابياتا لشاعر قبل الاسلام يقول :

لا يرقدون على وتر يكون لهم
وان يكن عندهم وتر الهدا رقدوا

ونرى البيت الثاني يتلألأ بتضمنه هذه الصفة المحمودة بقوله : (قوم اذا عاهدوا وفوا) . كما نواعن التخلي منها وأنبوا كل انسان عرف بذلك ، او نقض له قولا ، او ابتعد عن عمل فرضه على نفسه ثم لم يعمل به فقال :

واسلمني الزمان الى صديق كثير الوعد ليس له وفاء

وليس المطلوب منا ان ندلي بكل ماقيل عن هذه الصفة فلو حاولنا لاحتجنا الى مجلد ضخم وساعات طوال ، ولكن المطلوب منا هو ان نفهم اخواننا وانفسنا بان يحرصوا على هذه المكرمة العربية والتي اقرها الدين وفرضها واكد على اعتناقها بقوله تعالى : (اوفوا بالعهد) ولا يخفى ما في صيغة الامر من وجوب .

إذاً يجب على كل فرد منا اذا عاهد الله والامة والوطن والمليك على الوفاء بالدفاع عن الكرامة ان يسعى غاية جهده للذود عن الجميع لنصبح امة مثالية المجد ثابتة الاركان متعالية النفوس ، فان الانسان اذا فكر اعتبر واتضح له ان الامة التي هو جزء منها ، والوطن الذي يكفله ويضمن حياته ، والملك الذي يحميه ويرعاه عرف انه حافظ على وجوده الخاص وحقق كل منية وبغية يهوى الحصول عليها وبذلك لا شك يصبح وهو سعيد بسعادة تلك المجموعة ، وقوي بتماسك اولئك الافراد .

لقد علمنا الدين ان نكون امة ذات حول وطول لنكون مرهوبي الجوانب منيعي الاركان ، ليس لاحد فينا مطمع ، ولا لاجنبي فينا هوادة ، ولا لبدء فينا اثر غير المبدأ السامي الذي به نلنا العزة والكرامة يوم ان كنا نعمل به ، وظفرنا بالسلطان والمجد حين تطبيقنا لتعاليمه واسسه ، تلك الاسس التي نورت قلوبنا وهدتنا الى أوضح المسالك ، وارشدتنا عندما عز المرشد وعدم الهادي ، فانقذنا صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الروح السامية التي رفعت من تأريخنا ومجدنا بين الامم ذات الحضارة العتيدة ، ومكننا ان نفاخرها بظهور فريق من العباقرة عندنا نالوا الخلود بفضل تشريعه ودستوره الالهي .